مؤسسة النبأ العظيم

هدايات

أ.د. طه عابدين طه
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة

نسخة إلكترونية

.....

للتواصل مع المؤلف

proftaha11@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للَهِ ذي العظمةِ والكبرياء، والمجدِ والثناء، الفردُ الصمدُ، قيومُ السمواتِ والأرضِ، المنزُه عن الصاحبةِ والولد، المتعالي عن الأندادِ والشركاء، المقدّسُ عن الأمثالِ والنظراء، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيّهِ وصفيهِ محمدٍ ﷺ، خاتمِ الأنبياءِ، وإمامِ الأتقياء، عددِ ذرات الثرىٰ، ونجومِ السماء، وعلىٰ آلهِ الطيبين الطاهرين، وأصحابهِ البررةِ الصادقين، ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يومِ البعث والدين.

أما بعد:

فإنَّ اللهَ جل ذكرُه أنزلَ نورًا هَدَىٰ به من الضلالةِ، وأنقذَ به من الجهالةِ، وسلمَ به من الخسارةِ، أعجزَ الخليقةَ عن معارضتهِ، وسهّلَ علىٰ الخلقِ مع إعجازِه تلاوته، ويسّرَ علىٰ العقولِ فهمَه، وعلىٰ الجوارحِ اتباعَ هديهِ، ودلَّ به علىٰ وحدانيتهِ بصورة بينة، قطعَ به علىٰ المشركين حججَهم، وأخرسَ علىٰ الملحدين ألسنتَهم، بكلامٍ معجزٍ مبينٍ، لا نهايةَ لأسرارِ علومه، ولا إحاطةَ لحقائقِ معانيه، ومن هذه السورِ العظيمةِ التي أبانَ اللهُ تعالىٰ بها توحيدَه، ورد بها علىٰ أهلِ الضلالِ كفرَهم وتكذيبَهم: «**سورةُ الإخلاصِ**»، وتظهرُ أهميةُ دراسةِ هذه السورة من عدةِ وجوهٍ من أبرزِها:

أولاً: كثرةُ الأدلةِ التي وردت في فضلِها من حيثُ: الحثُ علىٰ تلاوتها، وبيانُ الثوابِ العظيمِ المترتبِ علىٰ قراءتِها وفهمِها والعملِ بها، ويكفي في ذلك أنها تعدلُ ثلثَ القرآنِ الكريم.

ثانيًا: خلوصُها في أعظمِ جانبٍ من جوانبِ الديانة، وهو معرفةُ اللهِ تعالىٰ وتوحيدُه، فقد جاءت جامعةً لصفاتِ كمالِه، مُنزهةً له عن كلِّ صفاتِ النقص، متضمنةً لكلِّ ما يجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ معرفتُه واعتقادُه في ربهِ، معالجةً لكلِّ صورِ الانحرافاتِ التي تاهت فيها الأمم، وليس أسعدُ للإنسانِ من معرفةِ ربِّه جل وعلا، والركونُ لعبوديته، والوحي هو السبيلُ لمعرفةِ صفاتهِ وطريقِ عبوديته.

ثالثًا: احتواؤها مع قصرِها الردَّ علىٰ كلِّ الدياناتِ والفرقِ والمذاهبِ المنحرفةِ عن منهجِ الإسلامِ السليم، من اليهوديةِ والنصرانية، والمشبهة والمعطلةِ وغيرِهم، في صفاتهِ جل وعلا التي بينتها هذه السورةُ الكريمة.

رابعًا: ضمُها لهداياتٍ عديدةٍ يقومُ عليها أصولُ الاعتقادِ وينبني عليها سلامةُ المنهج، ويؤدي فهمُها واعتقادُها إلىٰ إصلاحِ الفردِ والمجتمعِ، وهي هداياتٌ تحتاجُ إلىٰ جمعٍ دقيقٍ من كتبِ العلماءِ، وإضافةِ فوائدَ أخرىٰ لها، وعرضَها بأسلوبٍ يسهلُ فهمُه علىٰ الجميع.

خامسًا: تناسقُها الموضوعي، فهي مع عظمِ ما فيها من معانٍ في صفاتهِ جل وعلا؛ فقد جاءت تلك المعاني متناسقةً مترابطةً في كلماتِها، وآياتها، وموضوعاتها، في صورةٍ بلاغيةٍ ساحرةٍ، عُرضت بها تلك الدلالاتُ العميقةُ لأكبرِ قضيةٍ من قضايا الإيمان.

وقد احتوت هذه الدراسة علىٰ مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وتتلخص المباحث في الآتي:

- المبحث الأول: فضل «سورة الإخلاص» وأسماؤها وسبب نزولها.

- **المبحث الثاني:** موضوع «سورة الإخلاص» ومناسبتها ومعاني كلماتها.

- **المبحث الثالث:** الهداياتُ العلمية والعملية المستفادةُ من السورة.

- **المبحث الرابع:** التناسق الموضوعي لآيات السورة وخصائصها.

نسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذه الرسالة - المختصرة حجمـًا، العظيمة في محتواها معنىٰ وتعلقًا - من كتبها وراجعها وقرأها في الدنيا والآخرة، ويجعلها من العلم النافع الخالد المبارك.

المبحث الأول
فضل سورة الإخلاص وأسمائها وسبب نزولها

المطلب الأول: فضل السورة

أولاً: تعدلُ ثلثَ القرآن:

فقد جاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ)، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: (اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ)[1]، واللفظ للبخاري، وفي روايةِ مسلمٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وفي رواية أخرى في البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ح رقم (٥٠١٥)، ومسلم في صحيحه كتاب: صلاة المسافرين، بَاب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٢).

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[١].

وفي روايةٍ أخرىٰ لمسلمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «احْشِدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَىٰ هَذَا خَبَراً جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلاَ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[٢].

والعلماءُ في تأويلِ معنىٰ هذا الحديثِ علىٰ قولين[٣] وهما:

القولُ الأول: أن ذلك يتعلقُ بالثوابِ: فأجرُ من قرأَها مثلُ أجرِ من قرأَ ثلثَ القرآنِ، وإذا كررَها القارئُ ثلاثَ مراتٍ كان له ثوابُ من قرأَ القرآنَ كلَّه، قال الإمامُ القصّابُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قرأها ثلاثَ مراتٍ فكأنَّما قرأَ القرآنَ كلَّه»[٤].

والقولُ الثاني: أن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم: فقسموا علومَ القرآنِ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ: «توحيدٌ، وأحكامٌ، وجزاءٌ علىٰ الأعمالِ «وعدٌ ووعيد»، وقد اشتملت هذه السورةُ علىٰ التوحيدِ، فهي ثلثُ القرآنِ بهذا الاعتبار، ونقلَ شيخُ الإسلامِ ابنِ تيميةِ رَحِمَهُ اللَّهُ ما ذكرَه أبو

---

(١) كتاب: فضائل القرآن، باب: فَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ح رقم (٥٠١٣).

(٢) كتاب: صلاة المسافرين باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٤).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٤)، ومجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٧/ ١٠٣)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢١).

(٤) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (٤/ ٥٦٤).

حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابهِ «جواهرِ القرآنِ ودررِه» فقال: «أما قولُه: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن) ما أراكَ تفهمُ وجَه ذلك، فتارةً تقول: ذكرَ هذا للترغيبِ في التلاوةِ، وليس المعنىٌّ به التقديرَ- وحاشا منصبَ النبوةِ عن ذلك - وتارةً تقول: هذا بعيدٌ عن الفهمِ والتأويل، فإن آياتِ القرآنِ تزيدُ علىٰ ستةِ آلافِ آية، فهذا القدرُ كيف يكونُ ثُلثَها؟ وهذا لقلةِ معرفتك بحقائقِ القرآن، ونظرك إلىٰ ظاهرِ ألفاظه، فتظنُّ أنها تعظمُ وتكثرُ بطولِ الألفاظِ وتقصرُ بقِصرِها، وذلك كظنِّ من يؤثرُ الدراهمَ الكثيرةَ علىٰ الجوهرةِ الواحدة؛ نظرًا إلىٰ كثرتِها، فاعلم أن سورةَ الإخلاصِ تعدلُ ثلثَ القرآنِ قطعًا، وترجعُ إلىٰ الأقسامِ الثلاثةِ التي ذكرناها في مهماتِ القرآن، وهي: معرفةُ اللّهِ، ومعرفةُ الآخرةِ، ومعرفةُ الصراطِ المستقيم، فهذه المعارفُ الثلاثةُ هي المهمةُ، والباقي توابع، وسورةُ الإخلاصِ تشتملُ علىٰ واحدةٍ من الثلاث، وهي: معرفةُ اللّهِ، وتقديسُه، وتوحيدُه عن مشارك ... نعم ليس فيها حديثُ الآخرة، والصراطِ المستقيم؛ فلذلك تعدلُ ثلثَ القرآن، أي: ثلثُ الأصولِ من القرآنِ كما قال: (الحجُ عرفة) أي: هو الأصلُ والباقي تبع»[(١)].

وقال مصطفىٰ المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «(إنها تعدلُ ثلثَ القرآن)؛ لأنَّ من عرفَ معناها، وتدبرَ ما جاء فيها حقَّ التدبرِ علمَ أن ما في الدينِ من التوحيدِ والتنزيهِ تفصيلٌ لما أجملَ فيها»[(٢)].

والذي ينظرُ للأحاديثِ يجدُ أن كلا القولين صحيح، ولا مانعَ من

(١) مجموع الفتاوىٰ (التفسير) (٥/ ١٣٠).

(٢) تفسير المراغي (١٠ / ٥١٤).

اجتماعِهما في فضلِها، فالأحاديثُ منها ما هو صريحٌ في أن ثوابَ قراءتِها يعدلُ ثلثَ القرآن، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

ومنها ما هو صريحٌ فيما تضمنتُه من المعاني يعدلُ ثلثَ معاني القرآنِ كقولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي سوف يأتي في صحيحِ مسلم:«إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ»[(١)].

ثانيًا: حبُّها يورثُ حبَّ اللهِ تعالىٰ:

فقد جاء في صحيحِ البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلاً عَلَىٰ سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ»، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[(٢)].

ثالثًا: حبُّها يدخلُ الجنةَ دارَ السلام:

وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ

---

(١) صحيح مسلم كتاب: صلاة المسافرين، باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب: التوحيد، باب: مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ح رقم (٧٣٧٥)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ح رقم (١٩٢٤).

يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يُقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَىٰ مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ لَا تَرَىٰ أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»[١].

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ». قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»[٢].

رابعًا: بقراءتِها يُبنىٰ لك قصورٌ في الجنةِ:

عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشرَ مراتٍ بنىٰ اللهُ له بيتًا في الجنةِ»، فقال عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذاً نستكثرُ يا رسولَ الله، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أكثرُ وأطيب»[٣].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: الصلاة، باب: الْجَهْرِ بِقِرَاءَةِ صَلاَةِ الْفَجْرِ ح رقم (٧٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي ح رقم (٢٨٩٧)، والنسائي ح رقم (١٠٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٢٥٣٨)، وقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢/ ٢٣٥) ح رقم (٢٠٧٩)، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٨/ ١٢١).

(٣) أخرجه الإمامُ أحمدُ في المسند برقم (١٥٦٨٤)، والطبرانيُّ في المعجمِ الكبير ح رقم (٣٩٧)، =

خامسًا: قراءتُها حصنٌ ورقيةٌ وشفاء:

فقد جاء في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[(١)].

وعنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيبٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ مُظْلِمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطلبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[(٢)].

سادسًا: قراءتُها سُنَّةٌ في ركعتي الفجرِ والمغرب والطوافِ والوتر:

ومما يدل علىٰ فضلِها: شرعت قراءتُها في أعظمِ السننِ المؤكدةِ، ركعتي الفجر التي قال عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(٣)]، وفي الرواية الأخرىٰ في مسلم: «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا

= وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح رقم (٥٨٩).

(١) صحيح البخاري: فضائل القرآن: الصلاة، باب: فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ ح رقم (٥٠١٧).

(٢) أخرجه أبو داود ح رقم (٥٠٨٤)، والترمذي ح رقم (٣٥٧٥)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح رقم (٤٤٠٦).

(٣) صحيح مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَتَخْفِيفِهِمَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِمَا، ح رقم (١٧٢١).

جَمِيعًا»، فقد جاء في صحيح مسلمٍ كذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[١].

وكان يقرأ بها في ركعتي الطوافِ التي شرفت حالاً ومكانًا، فقد جاء عن جابرِ بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ في ركعتي الطوافِ بسورتي الإخلاص ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٢].

وكان يقرأُ بها في ركعتي المغرب، وفي الوترِ قبلَ أن ينام الذي جاء التأكيد عليه فيما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»[٣]، فقد جاء عن ابنِ عمرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «رَمَقْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعا وعشرين مرةً أو خمسًا وعشرين مرةً يقرأُ في الركعتين قبلَ الفجرِ وبعدَ المغرب: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٤].

---

(١) كتاب: صلاة المسافرين، اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَتَخْفِيفِهِمَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِمَا، ح رقم (١٧٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في باب ما جاء ما يقرأ في ركعتي الطواف ح رقم (٨٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه ح رقم (١٦٠٧٠)، وصححه الألباني في حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما رواها عنه جابر رضي الله عنه (ص: ٥٦).

(٣) صحيح البخاري في كتاب: الصوم، باب: صِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ح رقم (١٩٨١)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين باب: اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَىٰ وَأَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ وَأَكْمَلَهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ وَأَوْسَطَهَا أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ أَوْ سِتٌّ وَالْحَثِّ عَلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ح رقم (١٧٠٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (١٥٣٩٠)، والنسائي ح رقم (٤٤٦)، والترمذي ح رقم (٤٦١)، وابن ماجة ح رقم (١١٧١)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ح رقم (٤٦٢٩)، والحاكم

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثالثة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[١].

قال ابنُ قيمِ الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعتُ شيخَ الإسلامِ ابنِ تيميةِ يقول: سنةُ الفجرِ تجري مجرىٰ بدايةِ العمل، والوترُ خاتمتُه؛ ولذلك كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي سنةَ الفجرِ والوترِ بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيدِ العلمِ والعمل، وتوحيدِ المعرفةِ والإرادة، وتوحيدِ الاعتقادِ والقصد»[٢].

وقد يسردها في سلك نونيته[٣] العصماء التي تُغني عن قراءة مئة كتاب في العقيدة كما نص علىٰ ذلك العلماء حيث يقول:

توحيده نوعان علمي وقصـ ـدي كما قد جرد النوعان
في سورة الإخلاص مع تال لنصـ ـر الله قل يا أيها ببيان
ولذاك قد شرعا بسنة فجرنا وكذاك سنة مغرب طرفان
ليكون مفتتح النهار وختمه تجريدك التوحيد للديان

في المستدرك ح رقم (٣٩٢٠)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيح ح رقم (٣٣٢٨).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (٥٦٩١)، والنسائي ح رقم (١٠٦٤)، والترمذي ح رقم (٤١٧)، وقال التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وابن ماجة ح رقم (١١٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (٢٥٥٥)، وابن حبان ح رقم (٢٤٥٩) وصححه، وقال: إسناده صحيح علىٰ شرطهما، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم (ص: ٥٣٩)، والحديث جاء بروايات متعددة .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٩٨).

(٣) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١/ ٦٦).

وكـذاك قـد شـرعا بختاـم وترنـا ختمـا لسـعي الليـل بـالآذان
وكـذاك قـد شـرعا بركعتـي الطـوا ف وذاك تحقيـق لهـذا الشـان
فهمـا إذا أخـوان مصطحبـان لا يتفارقـان وليـس ينفصـلان

سابعًا: هي سورةٌ خالصةٌ في التعريفِ باللهِ تعالىٰ:

وقد جاء في صحيحِ مسلم عن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ»[1]، فهي خالصةٌ في الحديثِ عن عظيمِ صفاتهِ جلَّ وعلا، وتنزيههِ عن كلِّ ما لا يليقُ به تعالىٰ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : « فسورةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: متضمنةٌ لتوحيدِ الاعتقادِ والمعرفةِ، وما يجبُ ثباتُه للربِّ تعالىٰ من الأحديةِ المنافيةِ لمطلقِ المشاركةِ بوجهٍ من الوجوه، والصمديةِ المثبتةِ له جميعُ صفاتِ الكمالِ التي لا يلحقَها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، ونفي الولدِ والوالدِ الذي هو من لوازم الصمديةِ وغناه وأحديتهِ، ونفيُ الكفءِ المتضمنِ لنفي التشبيهِ والتمثيلِ والتنظيرِ، فتضمنت هذه السورةُ: إثباتَ كلِّ كمالٍ له، ونفيَ كلِّ نقصٍ عنه، ونفيَ إثباتِ شبيهٍ أو مثيلٍ له في كمالهِ، ونفيَ مطلقِ الشريكِ عنه، وهذه الأصولُ هي مجامعُ التوحيدِ العلمي الاعتقادي الذي يباينُ صاحبُه جميعَ فرقِ الضلالِ والشرك؛ ولذلك كانت تعدلُ ثلثَ القرآنِ؛ فإن القرآنَ مدارُه علىٰ الخبرِ والإنشاءِ، والإنشاءُ ثلاثةٌ: أمرٌ ونهي وإباحة، والخبرُ نوعان: خبرٌ عن الخالقِ تعالىٰ وأسمائهِ وصفاتهِ وأحكامهِ،

(١) كتاب: صلاة المسافرين، باب: فَضْلِ قِرَاءَةِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، ح رقم (١٩٢٣).

وخبرٌ عن خلقهِ، فأخلصَت سورةُ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الخبرَ عنه وعن أسمائهِ وصفاتهِ فعدلت ثلثَ القرآن، وخلصت قارئَها المؤمن بها من الشركِ العلمي كما خلصت سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من الشركِ العلمي الإرادي القصدي، ولما كان العلمُ قبلَ العملِ، وهو إمامُه وقائدُه وسائقُه والحاكمُ عليه ومنزلُه منازلَه كانت سورةُ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثلثَ القرآن، والأحاديثُ بذلك تكادُ تبلغُ مبلغَ التواتر»[١].

قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكشاف: «فإن قلت: لم كانت هذه السورةُ عدلَ ثلث القرآنِ كلِّه علىٰ قصرٍ منها وتقاربِ طرفيها؟ قلت: لأمرٍ ما يسودُ من يسود، وما ذاك إلا لاحتوائِها علىٰ صفاتِ اللهِ تعالىٰ وعدلهِ وتوحيده، وكفىٰ دليلاً من اعترافٍ بفضلِها، وصدقٍ بقولِ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيها: إنّ علمَ التوحيدِ من اللهِ تعالىٰ بمكان، وكيف لا يكون كذلك والعلمُ تابعٌ للمعلوم: يشرفُ بشرفهِ، ويتضعُ بضعته؛ ومعلومٌ هذا العلمُ هو اللهُ تعالىٰ وصفاتُه، وما يجوزُ عليه وما لا يجوز، فما ظنُّك بشرفِ منزلتهِ وجلالةِ محلهِ، وإنافتهِ علىٰ كلِّ علم، واستيلائهِ علىٰ قصبِ السبقِ دونه؛ ومن ازدراه فلضعفِ علمهِ بمعلومه، وقلةِ تعظيمه له وخلوهِ من خشيته، وبعدِه من النظرِ لعاقبته ... وتسمىٰ سورةُ الأساسِ لاشتمالها علىٰ أصولِ الدين»[٢].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٩٨).

(٢) الكشاف (٧/ ٣٣٨).

ثامنًا: تضمنها لاسمِ اللهِ الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأسلمي عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّيْ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالاِسْمِ الَّذِيْ إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح رقم (٢٣٠٠٢)، وأبي داود ح رقم (١٤٩٣)، والترمذي ح رقم (٣٤٧٥)، وابن ماجة ح رقم (٣٨٥٧)، وابن حبان ح رقم (٢٣٨٣)، والحاكم في المستدرك ح رقم (١٨٥٨)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في وصححه الألباني في التعليقات الحسان ح رقم (٨٨٨)..

المطلب الثاني: أسماءُ السورةِ وسببُ التسميةِ:

ذكرَ العلماءُ لهذه السورةِ أسماءَ كثيرة[1]، كلُّها تدلُّ علىٰ فضلِها ومنزلتها، لأن تعددَ الأسماءِ تدلُّ علىٰ شرفِ المسمىٰ، من أبرزها:

١. سورة (الإخلاص): سميت به في أكثرِ المصاحف، وفي عددٍ من كتبِ السننِ فقد جاء في جامعِ التِّرمذي: (بابُ ما جاءَ في سورةِ الإخلاص)، وكذلك في سننِ النسائي، وشعبِ الإيمان للبيهقي، ومستدركِ الحاكم وغيرِهم، وسميت بهذا الاسمِ؛ لأن اللهَ تعالىٰ أخلصها لنفسهِ فليس فيها إلا الكلامُ عن اللهِ تعالىٰ وصفاتهِ، فلا يوجدُ فيها أمرٌ ولا نهيٌ ولا وعدٌ ولا وعيد؛ ولأنَّ فيها تعليمَ الناسِ إخلاصَ العبادةِ للهِ تعالىٰ، وتصفيتَها من الإشراكِ به غَيرَه في الإلهيةِ، فهي تخلصُ قائلَها من الشركِ إذا قرأها معتقداً لما دلت عليه، واشتهرَ هذا الاسمُ لاختصارِه وجمعهِ لمعاني هذه السورة، فهي خالصة في التوحيد والتنزيه لله تعالىٰ.

٢. سورةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: وهو المشهورُ بها في عهدِ النبيِّ وفيما جرىٰ من لفظهِ، وفي أكثرِ ما روي عن الصحابةِ تسميتُها، كقولهِ: «قل هو الله أحد تعدِل ثلث القرآن»، وهو ظاهرٌ في أنه أرادَ تسميتَها بتلك الجملةِ؛ لأجلِ تأنيثِ الضمير من قولهِ: «تَعدل» فإنه علىٰ تأويلِها بمعنىٰ السورة، وقد روي عن جمعٍ من الصحابةِ ما فيه تسميتُها بذلك، فذلك هو الاسمُ الوارد في السنة.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٥٦)، وبصائر التمييز (١/ ٥٥٣)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٦٧)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٩)، وتفسير حدائق الروح والرياح في روابي علوم القرآن (٣٢/ ٤٣٤).

٣. سورةُ (الله الواحد الصمد): وأخذَ هذا من حديثِ البخاري أن رسول الله « قال: «اللهُ الواحدُ الصمد» ثُلُثُ القرآن، فذكرَ ألفاظًا تخالفُ ما تقرأ به، ومحمله علىٰ إرادةِ التسمية.

٤. وسميت بسورةِ (التوحيد): لأنها تشتملُ علىٰ إثباتِ أنه تعالىٰ واحد [١].

٥. وسميت بسورةِ (الأساس): لاشتمالِها علىٰ توحيدِ الله وهو أساسُ الإسلام [٢].

٦. وسميت بسورةِ (الصمد): لأنَّ هذا اللفظَ خصَّ بها، ذكره البقاعيُّ في نظمِ الدرر حيث قال: «وتسمىٰ الأساس والمقشقشة وقل هو الله أحد» [٣].

وذكرَ الرازيُّ في التفسيرِ عشرين اسمًا بإضافةِ عنوانِ سورةٍ إلىٰ كلِّ اسمٍ منها ولم يذكرْ أسانيدَها مثل: (سورةُ المعرفة، وسورةُ الجمال، وسورةُ النجاة، وسورةُ النور، وسورةُ المعوذة، وسورةُ التفريد، وسورةُ التجريد ... وغيرها) [٤].

واختلفَ العلماءُ في مكِّيَّتها ومدنيتها، والجمهورُ علىٰ أنها مكية، وقال قتادةُ والضحاكُ والسديُّ وأبو العالية ومحمد بن كعبَ القرظي: هي مدنية، ونسب كلا القولين إلىٰ ابن عباس، سبب الخلاف يرجع إلىٰ الاختلاف في سبب نزولها.

---

(١) انظر: نظم الدرر (٨/ ٥٧٥)، ومصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور (٢/ ٦٧).

(٢) انظر: نظم الدرر (٨/ ٥٧٥)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٩).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٤/ ٨٢٤)، ومفاتيح الغيب (١٧/ ٢٩٤)، ونظم الدرر (٨/ ٥٧٥).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٥٦).

المطلب الثالث: سبب نزول السورة:

فقد جاء عن أبي العاليةِ عن أبي بن كعبٍ أن المشركين قالوا: «يا رسولَ الله انسبْ لنا ربَّك، فأنزلَ اللهَ تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، فالصمدُ الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأنه ليس شيءٌ يولدُ إلا سيموت، ولا شيءَ يموتُ إلا سيورث، وإن اللهَ لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، قال: لم يكن له شبيه، ولا عدلَ وليس كمثلهِ شيء»[(١)].

وروي عن ابن عباس: «أنها نزلت بسبب أنَّ اليهود سألتِ النبي عليه لصلاة والسلام أن يصف لهم الباري عزَّ وجلَّ وينسب»[(٢)].

قال ابن عاشور: «الصحيح أنها مكية فإنها جمعت أصل التوحيد وهو الأكثر فيما نزل من القرآن بمكة، ولعل تأويل من قال: إنها نزلت حينما سأل عامر بن الطفيل وأربد، أو حينما سأل أحبار اليهود، أن النبيء صلىٰ الله عليه وسلم قرأ عليهم هذه السورة، فظنها الراوي من الأنصار نزلت ساعتئذ أو لم يضبط الرواة عنهم عبارتهم تمام الضبط»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « سورة قل هو الله أحد أكثرهم علىٰ

---

(١) راه أحمد في المسند ح رقم (٢١٢٥٧)، والترمذي في السنن ح رقم (٣٣٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم (١٠١)، والحاكم في المستدرك ح رقم (٣٩٨٧): وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال الألباني: حسن دون قوله: (والصمد الذي) في صحيح سنن الترمذي ح رقم (٣٦٠٤)..

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٤/ ٦٩٠)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤١٩)، وأسباب النزول للواحدي(ص:٥١٠)، وقد حسنه ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٩٨).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١١).

أنها مكية، وقد ذكر في أسباب نزولها سؤال المشركين بمكة، وسؤال الكفار من أهل الكتاب واليهود بالمدينة، ولا منافاة فإن الله أنزلها بمكة أولا ثم لما سئل نحو ذلك أنزلها مرة أخرىٰ، وهذا مما ذكره طائفة من العلماء، وقالوا إن الآية أو السورة قد تنزل مرتين وأكثر من ذلك، فما يذكر من أسباب النزول المتعددة قد يكون جميعه حقا، والمراد بذلك أنه إذا حدث سبب يناسبها نزل جبريل فقرأها عليه ليعلمه أنها تتضمن جواب ذلك السبب وإن كان الرسول يحفظها قبل ذلك، والواحد منا قد يسأل عن مسألة فيذكر له الآية أو الحديث، ليبين له دلالة النص علىٰ تلك المسألة وهو حافظ لذلك، لكن يتلىٰ عليه ذلك النص ليتبين وجه دلالته علىٰ المطلوب»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ١٩١).

المبحث الثاني
موضوع سورة الإخلاص ومناسبتها ومعاني كلماتها

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

المطلب الأول: موضوعُ السورة:

هو في بيانِ صفاتِ اللهِ تعالىٰ المتضمنة لتوحيدِه تعالىٰ، فهي في إخلاصِ التوحيدِ لله تعالىٰ بإثباتِ الكمالِ له، ونفي شوائبِ النقصِ عنه، المثمرِ لحسنِ الأقوالِ والأفعال، وثباتِ اللجوءِ والاعتمادِ عليه في جميعِ الأحوال، وعلىٰ ذلك دلَّ اسمُها (الإخلاصُ) الموجبُ للخلاصِ، فهذه السورةُ أعظمُ مفيدِ للتوحيدِ في القرآنِ؛ لأنها تبيَّن توحيدَه بصورةٍ جامعةٍ [١].

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٤)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٧٥).

المطلب الثاني: مناسبات السورة:

أولاً: المناسبةُ بين سورةِ الإخلاصِ والمسد:

لما بيَّنَ تعالىٰ في سورةِ المسدِ عداوةَ أقربِ الناسِ إلىٰ الرسولِ ﷺ، وهو عمُه أبو لهب، وكان سببُ تلك العداوةِ ما يعتقدُه من عقائدَ فاسدةٍ، والتي منها تلك الأصنامُ التي اتخذوها آلهةً مع اللهِ، واعتقادُهم أن الملائكةَ بناتُ اللهِ تعالىٰ جاءت هذه السورةُ مصرحةً بالتوحيد، هادمةً لكلِّ المذاهبِ المخالفةِ للتوحيد[١].

وقيل: « أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ لما ذمَّ فيما قبلَها أعداءَ أهلِ التوحيدِ وأعداءَ الرسول ﷺ .. بيَّن في هذه حقيقةَ التوحيدِ الذي هو أساسُ الدينِ ومبنىٰ أركانِه»[٢].

ثانيـًا: المناسبةُ بين سورةِ الإخلاصِ والفلق والناس:

لما بيَّن في سورةِ (الإخلاصِ) أنه هو الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمد الذي من معانيهِ توجُّه الخلائقِ إليه في قضاءِ حوائجِهم، جاء التوجه في سورة الفلق والناس بالتوجيه لهم للاستعاذةِ به وحدَه مما يخافونَه من الشرور، فهو وحدُه الذي يعيذُهم ويحفظُهم.

---

(١) البحر المحيط (٨/ ٣٩٥).

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والرياح في روابي علوم القرآن، (٣٢/ ٤٣٥).

ثالثًا: المناسبةُ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتها:

فاتحةُ السورةِ كانت في بيانِ أحديته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وهي تنفي المماثلة والمشاركة، وخاتمةُ السورةِ كانت في بيانِ تفردِ صفاته ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ وهي تنفي كذلك المماثلة والمشاركة، فهو أحدٌ، ولا يشابهُه أحدٌ من خلقهِ جل وعلا.

المطلب الثالث: معاني الكلمات:

- ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: بمعنىٰ الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وقد فرقَ بعضُ العلماءِ بين الأحدِ والواحد، وقيل: إنَّ الأحدَ أبلغُ من الواحد، يقال: فلانٌ لا يقاومُه أحدٌ نفيًا للكلِّ، ويقالُ: لا يقاومُه واحد، ويجوز أن يقاومَه اثنان، وأيضا فإنَّ الواحدَ يكون الذي يليه الثاني والثالث في العددِ، والأحدُ لا يكون بمعنىٰ هذا الحال، وأكثرُ المفسرين أنه بمعنىٰ الواحد[١].

- ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الله الصمد: فيه أقوال: قال ابن عباس: «السَّيِّد المعظم الذي قد انتهي سُؤدُده وبلغَ كماله، وقال سعيد بن جبير: «هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله»، وقيل: «إنه الذي يصمدُ إليه في الحوائجِ والأمور»، وقيل: «إنه الذي ليس له جوفٌ»، قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة»[٣]، وقال الشعبي: «هو الذي لا يأكل ولا يشرب»، وقيل: «إن تفسيرَه قولُه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾»، وقيل: «إنه الباقي الذي لا يفنىٰ»، وقيل: «إنه الدائمُ الذي لا يزول»، وقيل: الذي ليس فوقَه أحد»، وقيل: «الذي لا تعتريه الآفات»، وقيل: «هو الكاملُ الذي لا عيبَ فيه»، وقيل: «المستغني عن كلِّ أحدٍ والمحتاجُ

---

(١) تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٣/ ٣٠٥)، محاسن التأويل (٧/ ٤٠٩).

(٢) جامع البيان (٢٤ / ٧٣٥-٧٣٧)، النكت والعيون (٣٧١/ ٦-٣٧٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢١٥).

إليه كلُّ أحد وغيرها من أقوال كثيرة»[١]، وكل هذه أقوال متوافقة، من باب اختلاف التنوع، وهو تفسير بالمثال، يشملها معنىٰ الصمد ويزيد عليها.

- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي: ليس له والد ولا ولد[٢].
- ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾: الكفؤ هو النظيرُ والمماثلُ، أي: لم يكن أحدٌ نظيرًا له ولا شبيهًا ولا مثيلا، ومعنىٰ أحدٍ في آخرِ السورةِ غيرُ معنىٰ أحدٍ في أولِ السورة[٣].

(١) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٦٩٠)، والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، (٧/ ١٨٩)، وتفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٣/ ٣٠٥)، والنكت والعيون (٦/ ٣٧١) ومعالم التنزيل(٤/ ٧٢٠)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤١٣).

(٢) تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٣/ ٣٠٥).

(٣) انظر: تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٣/ ٣٠٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ٣٧٤).

المبحث الثالث
الهداياتُ العلمية والعملية المستفادةُ من السورة

المطلب الأول: الهدايات الجزئية لهدايات السورة:

١. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يفيدُ افتتاحُ السورةِ بالأمرِ بالقولِ إظهارُ العنايةِ بأمرِ التوحيدِ أساسِ الدين، ووجوبِ إعلانهِ للناسِ بصورةٍ واضحةٍ بيِّنةٍ ساطعة، فهو الحقُّ المبينُ الذي يجبُ تبليغُه للناسِ ببراهينهِ القاطعة، فهي ليست في الأمرِ بالإيمان فحسب؛ بل هي في الأمرِ بإعلانهِ للناس، كما قال تعالىٰ عن مؤمن آل ياسين: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٠-٢٧]، فإعلانُ التوحيدِ، والصدعُ به من أعظم القربات.

٢. تفيدُ شرفَ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي خوطبَ بقولهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ أي: يا أكرمَ الخلقِ، وخيرَ من يفهمُ عن ربهِ بلِّغْ هذا القولَ العظيمَ للناسِ، والخطابُ له أولاً وللأمةِ الداعيةِ بأمرِه علىٰ بصيرة بعدَه.

٣. تفيدُ عمومَ رسالةِ الإسلام، القائمِ علىٰ التوحيدِ؛ لأنَّ إطلاقَ الأمرِ بعدمِ التقييدِ بمقولٍ له يُفهمُ عمومَ الرسالة، وأن المرادَ كلَّ من يمكنُ القولُ له سواء كان سائلاً عن ذلك بالفعلِ، أو بالقوةِ حثًا علىٰ استحضارِ - ما لربِّ هذا الدين - من العظمةِ والجلال، والكبرياءِ والكمال.

٤. تفيدُ الابتداءَ بذكرِ لفظِ الجلالةِ (ﷲ) الذي افتتحت به هذه السورةُ؛ المعرفةُ به جلَّ وعلا عظمةَ هذا الاسم، حيث هو الاسمُ المختصُ به، الجامعُ لجميعِ معاني الأسماء الحسنىٰ، والدالُ علىٰ جميعِ صفاتِ الكمالِ والجلالِ والجمال.

٥. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ واحدٌ لا ثاني معه، فهو نفيٌ للعددِ، فلا إله سوىٰ الواحدِ القهار، وفي ذلك ردٌ علىٰ من يعتقدون تعددَ الإله في ذاتهِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤ - ٥]، وقال تعالىٰ رداً لمن لا يعتقدون ذلك: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [المائدة: ٧٣].

٦. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ واحدٌ متفردٌ بالوحدانيةِ من جميعِ الوجوهِ، في ألوهيتهِ وربوبيتهِ، وفي أسمائهِ وصفاتهِ، لا نظيرَ له في صفاتهِ، ولا وزيرَ ولا نديدَ ولا شبيه ولا عديلَ ولا شريكَ، كما تقول: فلانٌ واحدُ عصره أي لا نظيرَ

له، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]، فهو أحدٌ لا يحتاجُ إلىٰ أحدٍ، وليس فوقَه أحد.

٧. تفيدُ وجوبَ قولِ: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناها، أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحدُ المنفردُ بالكمال، الذي له الأسماءُ الحسنىٰ، والصفاتُ الكاملةُ العليا، والأفعالُ المقدسة، الذي لا نظيرَ له ولا مثيل[١].

٨. تفيدُ اتصافَ الله تعالىٰ بالوحدانيةِ، فـ ﴿أَحَدٌ﴾ من صفاتِهِ جلَّ وعلا، فلا يطلقُ هذا اللفظُ علىٰ أحدٍ في الإثباتِ إلا علىٰ اللهِ تعالىٰ قال الأزهريُّ فيما نقله عنه الرازي: «لا يوصفُ شيءٌ بالأحديةِ غيرَ اللهِ تعالىٰ، لا يقال: رجلٌ أحدٌ ولا درهمٌ أحد كما يقالُ: رجلٌ واحدٌ أفرد به؛ بل ﴿أَحَدٌ﴾ صفةٌ من صفاتِ الله تعالىٰ استأثرَ بها، فلا يشركُه فيها شيء، فهو أحدٌ بذاته، وأحد بصفاته، واحد في أفعاله»[٢].

٩. يفيدُ وصفُه بالوحدانيةِ أنه ليس قبلَه شيءٌ، ولا بعدَه شيءٌ، فهو المتوحدُ بالأزلِ الباقي بعدَ فناءِ الخلق، فلا نظيرَ له في وحدانيتِهِ، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الحديد:٣].

١٠. تفيدُ وجوبَ تنزيهِ اللهِ تعالىٰ عن مماثلةِ شيءٍ من الخلقِ له تعالىٰ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: «فإنه كما يجبُ تنزيه الربِّ عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٣٧).

(٢) مفاتيح الغيب (١١/ ٣٦٠).

يجبُ تنزيهُه عن أن يماثلَه شيءٌ من المخلوقاتِ في شيءٍ من صفاتِ الكمالِ الثابتةِ له، وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجبَ لله و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلت علىٰ النوعين: فقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ مع قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ينفي المماثلةَ والمشاركةَ، وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يتضمنُ جميعَ صفاتِ الكمال، فالنقائصُ جنسُها منفي عن اللهِ تعالىٰ، وكلُّ ما اختصَ به المخلوقُ فهو من النقائصِ التي يجبُ تنزيه الربِّ عنها، بخلافِ ما يوصفُ به الرب ويوصفُ العبدُ بما يليقُ به، مثل العلمِ والقدرةِ والرحمةِ ونحو ذلك فإن هذه ليست نقائصَ؛ بل ما ثبت للهِ من هذه المعاني فإنه يثبت لله علىٰ وجهٍ لا يقاربه فيه أحدٌ من المخلوقاتِ فضلاً عن أن يماثلَه فيه»[(١)].

١١. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو موجدُ الموجوداتِ، وخالقُ الأشياءِ وفاطرُها، وبه قوامُها إذ لا تقومُ بأنفسِها[(٢)].

١٢. تفيد أنه حيٌّ قادرٌ عليمٌ سميعٌ بصيرٌ؛ لأن الخلقَ يستدعي القدرةَ والعلمَ وتلك الصفاتِ، لكونه واقعاً علىٰ غايةِ إحكامٍ واتساقٍ وانتظام[(٣)].

١٣. تفيد أن اعتقادَ أحديتِهِ سبحانه وتعالىٰ تورثُ في القلبِ حبَّه وتعظيمَه؛ لأن التفردَ بذلك يقتضي الكمالَ والجمالَ.

١٤. تفيد أن براهين وحدانيتِهِ تعالىٰ بارزةٌ لا تحتاجُ إلىٰ كثرةِ جدالٍ؛ بل ينبغي أن يقالَ ذلك ويعتقد، وقد أقامَ اللهُ في القرآنِ الكريمِ براهينَ قاطعةً علىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٣٢٦).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٦)، والكشاف (٦/ ٤٦١).

(٣) الكشاف (٦/ ٤٦١).

وحدانيتِهِ؛ وهي كثيرةٌ جدا من أوضحِها أربعةُ براهين:

- الأولُ: قولُه تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]؛ لأنه إذا ثبت أن اللهَ تعالىٰ خلقَ جميعَ الموجودات لا يمكن أن يكون واحدٌ منها شريكًا له.

- والثاني: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٢].

- والثالثُ: قولُه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٤٢].

- والرابعُ: قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] (١).

١٥. تفيدُ أن الصمدَ من أسماءِ الله تعالىٰ، «وعُرِفَ بالصمدِ لاختصاصِهِ به تعالىٰ، ولا يوصفُ به غيرُه بوجه» (٢).

١٦. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو المقصودُ في الحوائجِ، المستغاثُ به في المصائبِ علىٰ الدوام، يصمدُ ويَلْجأُ إليه جميعُ الخلقِ في كلِّ أمورِهم وحوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتِهم، وهو القادرُ علىٰ قضائِها، فأهلُ العالمِ العلوي والسفلي مفتقرون إليه غايةَ الافتقارِ، فقد جاء عن ابنِ عباس في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ «يعني: الذي يصمدُ الخلائقُ إليه في حوائجِهم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٦).

(٢) انظر: تفسير الإمام ابن عرفة (١/ ٣٦٢).

ومسائلهم»[١] كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ – ٥٤].

١٧. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ هو الغنيُّ الحميدُ الذي لا يفتقرُ إلىٰ غيره، ولا يستغنىٰ عنه شيءٌ من خلقه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

١٨. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو: «السيدُ الذي قد كملَ في سؤددِه، والشريفُ الذي قد كملَ في شرفهِ، والعظيمُ الذي قد عظمَ في عظمتهِ، والحليمُ الذي قد كملَ في حلمهِ، والغنيُّ الذي قد كملَ في غناه، والجبارُ الذي قد كملَ في جبروته، والعالمُ الذي قد كملَ في علمه، والحكيمُ الذي قد كملَ في حكمته»[٢]، والرحيمُ الذي كملَ في رحمته التي وسعت كلَّ شيء، وهكذا سائرُ أوصافهِ فقد كملَ في أنواعِ الشرفِ والسؤدد كلِّها.

قال ابن القيم في نونيته[٣]:

هو الاله السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان

الكامل الأوصاف من كل الوجو ه كماله ما فيه من نقصان

١٩. تفيد أن اللهَ تعالىٰ عالمٌ بجميعِ المعلومات، لأن كونه سيداً مرجوعاً

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٥٢٨).

(٢) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان (١٠/ ٨٨٣٣)، والتفسير الصحيح للدكتور حكمت بن بشير ياسين (٤/ ٦٨١).

(٣) القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١/ ١٧).

إليه في قضاءِ الحاجات لا يتمُّ إلا بذلك[١].

٢٠. تفيد أن اللهَ تعالىٰ كريمٌ برٌّ رحيم، لأنه لا يصمدُ إليه إلا أن يكونَ هكذا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

٢١. تفيدُ إبطالَ عقيدةِ مشركي العرب الذين يعتقدون بالوسائطِ والشفعاء، وأن لهم منزلةً عند ربِّهم بها يتوسطون لغيرِهم في نيلِ مبتغاهم، فيلجؤون إليهم أحياءً وأمواتا، وأن اللهَ تعالىٰ يقضيَ حوائجَ العبادِ دونَ واسطة.

٢٢. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو الدائمُ الباقي بعد فناءِ خلقه، لم يزل ولا يزولُ، وهذه من لوازم صمديته[٢].

٢٣. تفيد أن الله تعالىٰ هو الكبير المتعال يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال الحسين بن الفضل البجلي: «الصمد هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه»[٣].

٢٤. تفيد أن من اعتقدَ صمديتَه المقتضيةَ لكمالهِ في جميعِ صفاتهِ وأفعالهِ؛ أنتجَ له ذلك الاعتقاد كُمالَ التفويضِ والتوكلِ عليه جل وعلا في جميعِ أموره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٦٧١).

(٢) ذكره قتادة، انظر: جامع البيان (١٠ / ٨٨٣٣)، ومعالم التنزيل (١/ ٧٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٦٧)، وفتح القدير (٥/ ٦٩٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٦٧٢).

٢٥. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ الأحدَ الصمد هو الإله الذي لا تنبغي الألوهيةُ إلا له، ولا تصلحُ العبادةُ لسواه، فهو الخالقُ، المصورُ، المدبرُ، المعبودُ بحق.

٢٦. تفيدُ ضلالَ الذين يقصدون غيرَ اللهِ تعالىٰ في قضاءِ حوائجِهم، أو يجعلون غيرَه أكفاءَ وشركاءَ له، ممن لا يملكون شيئا، ولا يستطيعون قضاءَ أمرٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ [سبأ:٢٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]، فمن عرفَ اللهَ تعالىٰ لم يسألْ أحداً سواه، ولجعل غناه بمولاه.

٣- ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾:

٢٧. تفيد أن اللهَ تعالىٰ ليس له ولدٌ؛ لأن الولدَ لا يكون إلا لمن له زوجةٌ، والله تعالىٰ ليس له زوجةٌ، وإليه الإشارةُ بقوله تعالىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام:١٠١].

٢٨. تفيد أن اللهَ تعالىٰ مالكُ كلِّ شيءٍ وخالقُه، فكيف يكونُ له من خلقهِ

نظيرٌ يسامِيه، أو قريبٌ يدانيه، تعالىٰ وتقدس وتنزه[١].

٢٩. تفيد أن نسبةَ الولدِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ من أعظمِ الضلالِ في العقيدة كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٥]، وقد جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنْ اللهِ إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[٢]، وجاء كذلك في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»[٣].

٣٠. تفيدُ الردَ علىٰ قول اليهود: عزيرٌ ابنُ الله، وعلىٰ قول النصارىٰ: المسيحُ ابنُ الله، وعلىٰ قول المشركين إن الملائكةَ بناتُ الله، فهو لم يصدر عنه الولد ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فردَ اللهُ تعالىٰ علىٰ الجميعِ في أنه ليس له ولدٌ، لأن الولدَ لابد أن يكون من جنسِ والده، والله تعالىٰ أزلي قديم، ليس كمثلِهِ شيء،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٥٢٩).

(٢) كتاب: الأدب، باب: الصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَذَىٰ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ»، ح رقم (٦٠٩٩).

(٣) كتاب تفسير القرآن: باب: «وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ» [البقرة: ١١٦]، ح رقم (٦١٠٣).

فلا يمكن أن يكون له ولد.

٣١. تفيدُ كمال غناه؛ لأنه من كمالهِ أنه ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن الوالدَ إنما يتخذُ ولداً للحاجةِ إليه، واللهُ تعالىٰ لا يفتقرُ إلىٰ شيءٍ فلا يتخذُ ولداً[(١)]، وإلىٰ هذا أشارَ بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]، ومن هنا تمدّحَ اللهُ تعالىٰ بنفي الولد فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

٣٢. تفيد أن اللهَ تعالىٰ لا يفنىٰ؛ إذ لا شيءَ يلدُ إلا وهو فانٍ بائدٌ لا محالة، وليس شيءٌ يموتُ إلا سيورث، وإن اللهَ جل ثناؤه لا يموتُ ولا يورث[(٢)].

٣٣. تفيدُ أن اللهَ تعالىٰ لم يولد من أب ولا أم ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس بمُحْدَثٍ لم يكن فكان؛ لأن كلَّ مولودٍ فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدثَ بعد أن كان غيرَ موجود، واللهُ تعالىٰ قديمٌ أزلي، فهو الذي كان ولم يكن معه شيءٌ غيرُه، فلا يصحُ أن يكون مولودا ولا أن يكون له والد[(٣)].

٣٤. تفيد أنه تعالىٰ كما هو متصفٌ بالكمالاتِ فإنه منزهٌ عن النقائصِ، فيجبُ قولُ ذلك واعتقادُه.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٧٣٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٠/ ٨٨٣٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/ ٥٢٩)، وأيسر التفاسير (٤/ ٦٢٨).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٠/ ٨٨٣٤).

٣٥. تفيد أن القرآنَ يبدأُ في معالجةِ الشُّبهِ بالأهم، قال الرازي: «إنما وقعت البداءةُ بأنه لم يلد، لأنهم ادعوا أن له ولداً، وذلك لأن مشركي العرب قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وقالت اليهودُ عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارىٰ المسيحُ ابنُ الله ولم يدّع أحدٌ أن له والداً، فلهذا السببِ بدأَ بالأهم»[(١)].

٣٦. يفيدُ قولُه: ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ حجةً لنفي الولدِ، كأنه قيل: الدليلُ علىٰ امتناعِ الولدية اتفاقنا علىٰ أنه ما كان ولداً لغيرِه.

٣٧. تفيدُ دقةَ القرآنِ الكريم في نفيهِ شبهةَ الولدِ عن الله تعالىٰ، بقولهِ هنا: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾، وبقولهِ هنالك: ﴿لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾، وذلك لأن «الولدَ يكون علىٰ وجهين: أحدُهما: أن يتولدَ منه مثلُه، وهذا هو الولدُ الحقيقي، والثاني: أن لا يكونَ متولداً منه ولكنه يتخذُه ولداً ويسميه هذا الاسم، وإن لم يكن ولداً له في الحقيقةِ، والنصارىٰ فريقان: منهم من قال: عيسىٰ ولدُ اللهِ حقيقةً، ومنهم من قال: إن اللهَ اتخذَه ولداً تشريفـًا له، كما اتخذَ إبراهيمَ خليلاً تشريفـًا له، فقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ فيه إشارةٌ إلىٰ نفي الوالد في الحقيقةِ، وقولُه: ﴿ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ إشارةٌ إلىٰ نفي القسمِ الثاني»[(٢)].

٣٨. تفيد أن اللهَ تعالىٰ هو الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ ولا معه، والآخرُ الذي ليس بعدَه شيء، فهو الخالقُ لكلِّ شيءٍ من العدم، القائمُ علىٰ كلِّ شيء.

٣٩. تفيدُ بالإيماءِ إلىٰ أن من يكون مولوداً مثل عيسىٰ لا يكون إلهـًا؛ لأنه لو كان الإله مولوداً لكان وجودُه مسبوقـًا بعدمٍ لا محالة، وذلك محال؛

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

لأنه لو كان مسبوقًا بعدمٍ لكان مفتقراً إلىٰ من يُخصصه بالوجودِ بعد العدم، فحصلَ من مجموعِ جملة: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ إبطالُ أن يكونَ اللهُ والداً لِمولودٍ، أو مولوداً من والد بالصراحة، وبطلت إلهية كلِّ مولودٍ بطريقِ الكناية، فبطلت العقائدُ المبنيةُ علىٰ تولدِ الإله[1].

٤- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

٤٠. تفيد أن اللهَ تعالىٰ ليس كمثلِهِ شيءٌ، فلا شبيه له ولا عديلَ لا في أسمائهِ ولا في أوصافهِ، ولا في أفعالهِ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

٤١. تفيد أن تنزيه اللهِ تعالىٰ عن الشبيهِ والنظيرِ والمكافئِ يوجبُ في القلبِ تعظيمُه تعظيمًا مطلقًا، يورثُ الهيبةَ والإجلالَ والمحبة.

٤٢. تفيدُ عظمَ هذه الخاتمةِ لهذه السورةِ العظيمةِ، حيث نفىٰ أن يكون شيءٌ في الوجودِ مساوياً له في شيءٍ من صفاتِ الجلالِ والعظمة.

٤٣. تفيدُ وجوبَ معرفةِ اللهِ تعالىٰ بأسمائهِ وصفاته، ولهذا قال العلماءُ: «إن معرفةَ اللهِ تعالىٰ لا تتمُ إلا بمعرفةِ هذه السورة»[2]، فهي السورةُ التي تدلُّ العبدَ علىٰ جلالهِ وكبريائهِ وعظيمِ صفاته.

٤٤. تفيدُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ نفياً للكثرةِ والتعدد، و﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ نفياً للنقصِ والتغلب، و﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفياً للعلّةِ والمعلول،

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٩).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٥٧).

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ نفياً للأشباهِ والأضداد [١].

٤٥. تفيدُ دليلاً علىٰ شرفِ وفضلِ علمِ التوحيد [٢]، والعلومُ تشرفُ بشرفِ المعلوم الذي هو نهايةُ الشرفِ والجلالِ والجمالِ والكمال.

٤٦. تفيدُ الدعوةَ بعدَ معرفةِ الله تعالىٰ بعظيمِ صفاته إلىٰ إخلاصِ العبوديةِ له.

٤٧. تفيدُ نفي الشركِ بجميعِ أنواعه، فقد نفىٰ اللهُ تعالىٰ عن نفسهِ أنواعَ الكثرةِ بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ أنواعَ الاحتياجِ بقولهِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ المجانسةَ والمشابهةَ لشيءٍ بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ الحدوثَ والأوليةَ بقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، ونفىٰ عن نفسهِ الأندادَ والأشباه بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٤٨. تفيدُ أن التوحيدَ كما هو بدايةُ الأعمالِ يجبُ أن يكونَ في خاتمتِها، فبدأ القرآنُ بعظيمِ صفاتهِ في سورةِ الفاتحة، وختمَ بذلك هنا بما ينبه لأهميةِ معرفتهِ جل وعلا، وهذه المنزلةُ هي التي تجلبُ كلَّ خيرٍ للعبدِ في الدنيا والآخرة.

٤٩. تفيدُ أن من عرفَ اللهَ تعالىٰ بجميعِ صفاتهِ كان سرورُه به لا يوصف، وثقتُه فيه لا تنقطعُ، وتوكلُه عليه لا يشوبُه نقص، وحمدُه له لا يفتر به لسانُه،

---

(١) ينظر: تفسير الإمام ابن عرفة (١/ ٦٧٢).

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٥٨٣).

وجعل أنسَه في الحياةِ ذكرَ ربه،كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

٥٠. تفيدُ هذه السورةُ أنواعَ التوحيدِ الثلاثةِ، الربوبيةُ والألوهيةُ والأسماءُ والصفات، أما توحيدُ الألوهيةِ ففي قولهِ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يعني هو الإله المعبودُ حقًا الذي لا يستحقُ أن يعبدَ أحدٌ سواه، وأما توحيدُ الربوبيةِ والأسماءِ والصفات ففي قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الذي معناه الكاملُ في صفاتهِ الذي من كمالِ صفاته ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، فهو لكمالِ صفاته غنيٌ عن خلقهِ، فقيرٌ إليه جميعُ مخلوقاته، فكمالُه في الصفاتِ هو ما يتعلقُ بتوحيدِ الأسماءِ والصفات، وافتقارُ مخلوقاتهِ كلِّها إليه يدلُ علىٰ أنه هو الربُّ الذي يقصدُ لدفعِ الشدائدِ والمكروهاتِ، وحصولِ المطالبِ والحاجات، وهذا هو توحيدُ الربوبية.

المطلب الثاني: الهدايات العملية من هدايات السورة:

١. الاعتقادُ الجازم أن إله العالمين واحدٌ لا شريكَ له ولا نظيرَ ولا معين له.

٢. اليقينُ بكمالهِ جل وعلا في ذاتهِ وصفاتهِ وأفعاله.

٣. اعتقادُ كمالِ غناه جل وعلا، فهو الذي خلقَ الخلقَ وهو غنيٌّ عنهم.

٤. اللجوء إلىٰ اللهِ تعالىٰ في جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ، فما من مخلوقٍ إلا وهو مفتقرٌ إليه، وهو وحدُه الكفيلُ بحاجاتِ خلقه.

٥. تنزيهه تعالىٰ عن الولدِ والصاحبةِ، واعتقادِ ضلالِ الأديانِ التي تقولُ بغير هذا.

٦. اعتقادُ أزليةِ اللهِ تعالىٰ، فهو الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليس بعدَه شيء.

٧. اعتقادُ تباينِ صفاتِ الخالق عن صفاتِ المخلوقِ، فليس كمثلهِ شيء لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله.

٨. تعظيمُه ومحبتُه جل وعلا لما له من الجلالِ والجمالِ والفضلِ والإحسان.

٩. التحصنُ والتعوذُ بهذه السورةِ العظيمةِ الدالةِ علىٰ عظيمِ صفاتهِ مع المعوذتين من شرِ الوساوسِ والشرورِ الظاهرة والباطنة، فهي خيرُ ما يتعوذُ بهما متعوذ.

١٠. الحرصُ علىٰ كثرةِ قراءتها بتدبرٍ خاصةً في السننِ التي شرعت فيها.

المبحث الرابع
التناسق الموضوعي لآيات السورة وخصائصها

المطلب الأول: التناسق الموضوعي بين الآيات:

لما بيَّنَ سبحانَه وتعالىٰ إهلاكَه عدوَّه أبا لهب، وهلاكَ زوجِهِ هلاكًا لا جبرَ له علىٰ وجهٍ مبينٍ أنه في أدنىٰ دركاتِ الحقارة، وأعظمِ أنواعِ الخسارة، وتشوّقَ السامعُ إلىٰ وصفِ الفاعلِ لذلك؛ الذي هو خارجٌ عن طوقِ البشر، وخارقٌ للعوائد، الذي أظهرَ شخصًا واحداً علىٰ الناسِ كافةً مع شدةِ عداوتِهم له، جاءت الإخلاصُ كاشفةً لما ثبت من العظمةِ لوليِّه النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أنزلَ عليه هذا الدين، ونصرَه علىٰ عدوِّه المبين، فقال تعالىٰ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولما تكلمَ عن وحدانيتِهِ وأظهرَها بيَّنَ ما يدلُّ علىٰ كمالِ غناه وفقرِ جميعِ الخلق إليه؛ لأنَّ وجودَهم منه سبحانه وبقاءهم به فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، ولما أثبت بصمديتِهِ اتصافَه بكلِّ صفاتِ الكمال، ونفيه لكلِّ صفاتِ النقائص، وأصبحَ معلومًا كالشمسِ في رابعةِ النهارِ أنه لا شريكَ له ولا معينَ ولا ظهيرَ له، جاء الكلامُ بما يبرهنُ صمديتَه، ويردُّ علىٰ القائلين بأن للهِ ولدا، تعالىٰ الله عمَّا يقولون علواً كبيرة، فقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فهو قديمٌ لا أولَ له؛ بل هو الأولُ الذي لم يسبقه عدم، ولما انتهىٰ بيان حقيقتِهِ سبحانه وتعالىٰ بما يدلُ علىٰ أنه لا يجانسُ شيئًا ولا يجانسُه

شيء، ولا يكون له نظيرٌ في شيءٍ من ذلك، جاء الكلامُ بما ينفي عنه ذلك صراحةً فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (١).

فالسورةُ من أولِها إلىٰ آخرِها في بيانِ حقيقته سبحانه وتعالىٰ، فهي علىٰ وجازتِها قد اشتملت علىٰ جميعِ المعارفِ الإلهيةِ، ورادةً علىٰ كلِّ من ألحد في صفاتهِ، فهي قد أثبتت له الوحدانيةَ ونفت عنه الشريك، وأثبتت له كمال الغنىٰ ونفت عنه الاحتياجَ إلىٰ شيءٍ من خلقهِ، وأثبتت له الأولية ونفت عنه الحدوث، وأثبتت له الكمالَ المطلقَ ونفت عنه المثيلَ.

(١) ينظر: نظم الدرر (٨/ ٥٧٥ - ٦٠٢) فقد أطال في بيان تناسقها.

المطلب الثاني: خصائص السورة في عرض هداياتها:

* تعدل ثلث القرآن الكريم في الجزاء لا في الإجزاء، وهذا لم يرد لغيرها، وقد ثبت كثرة قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها بعد سورة الفاتحة.

* بيانُ وحدانيةِ الله في كلمات جامعة مختصرة، تدل علىٰ كماله المطلق في أسمائه وصفاته وأفعاله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

* الحديثُ عن صمديةِ الله تعالىٰ للدلالة علىٰ كمال غناه، وأنه لا يقصدُ في الحوائجِ غيره في كلمتين: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

* تنزيهُه جل وعلا من الولدِ والوالدِ، وبذلك يأتي الرد الجامع علىٰ اليهود والنصارىٰ والمشركين: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

* البراءةُ من مشابهةِ الخَلْق له في صفاتهِ جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة المختصرة حول هذه السورة العظيمة توصل الباحث إلىٰ عدد من الخلاصات المهمة، منها:

١. (سورة الإخلاص) من السورة التي ذكرت لها فضائل كثيرة ومتنوعة من ذلك: أنها تعدل ثلث القرآن، وأن حبها سبب لدخول الجنة، وبقراءتها يُبنىٰ لك قصورٌ في الجنة، وهي رقية وشفاء، وهي خالصة في التوحيد الذي هو أساس الدين وغيرها من فضائل.

٢. (سورة الإخلاص) من السورة التي تعددت في أسمائها وصفاتها وهذا يدل علىٰ فضلها ومكانتها وخصائها كذلك.

٣. اختلف العلماء في سبب نزولها، وترتب علىٰ ذلك الاختلاف في مكيتها ومدنيتها، والراجح أنها مكية.

٤. موضوع السورة في إخلاص التوحيد لله تعالىٰ بإثبات الكمال له، ونفي شوائب النقص عنه.

٥. جمعت (سورة الإخلاص) خلاصة شافية من الهدايات العلمية في توحيد الله تعالىٰ، وذكر الباحث منها خمسين هداية يجب تدبرها وتعلم هداياتها والعمل بها.

٦. اشتملت هذه السورة مع قصرها الرد علىٰ كل أهل الديانات

والفرق المنحرفة في توحيد الله تعالىٰ؛ بما يثبت عظمة التوحيد الذي بيّنه القرآن الكريم بيانـًا شافيـًا.

٧. هنالك تناسق وترابط عجيب بين كلمات وآيات (سورة الإخلاص) كشفت عنه هذه الدراسة؛ التي تدلل علىٰ أن القرآن كلام الله تعالىٰ.

تمَّ الكلام عن سورة الإخلاص

ولله الحمد والمنة ببلد الله الحرام - مكة

في يوم الجمعة: ٩ ذو الحجة ١٤٤١هـ.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

المبحث الأول: فضل سورة الإخلاص وأسمائها وسبب نزولها ٩

المطلب الأول: فضل السورة ٩

المطلب الثاني: أسماءُ السورةِ وسببُ التسميةِ: ٢٠

المطلب الثالث سبب نزول السورة..... ٢٢

المبحث الثاني: موضوع سورة الإخلاص ومناسبتها ومعاني كلماتها..... ٢٤

المطلب الأول: موضوعُ السورة: ٢٤

المطلب الثاني: مناسبات السورة ٢٥

المطلب الثالث: معاني الكلمات ٢٧

المبحث الثالث: الهداياتُ العلمية والعملية المستفادةُ من السورة..... ٢٩

المطلب الأول: الهدايات الجزئية لهدايات السورة: ٢٩

المطلب الثاني: الهدايات العملية من هدايات السورة:..... ٤٣

المبحث الرابع: التناسق الموضوعي لآيات السورة وخصائصها ٤٤

المطلب الأول: التناسق الموضوعي بين الآيات:..... ٤٤

المطلب الثاني: خصائص السورة في عرض هداياتها: ٤٦

الخاتمة..... ٤٧

فهرس الموضوعات..... ٤٩

alnpaa.com + 966 550427304
alnpaa@gmail.com